# توظيف الحارة في روايات نجيب محفوظ. زقاق المدق أنموذجا

**د / دادوة حضرية نبية**
**مركز البحث في الانثروبولوجيا**
**الاجتماعية و الثقافية، وهران**

**ملخص**

يعتبر المكان من العناصر المهمة في تكوين العمل الروائي. فهو إلى جانب الزمان والشخصيات، يشكل الركيزة الأساسية للصيرورة الروائية. لقد أولى نجيب محفوظ أهمية كبيرة للأماكن؛ حيث خلد أسماء العديد من الأحياء القاهرية التي عاش فيها أو تردد عليها، بجعلها أسماء لرواياته؛ مثل خان الخليلي، السكرية، بين القصرين. و نظرا لما تمثله الحارة المصرية عموما والقاهرية على الخصوص للمواطن المصري والعربي ، فقد أولى لها أديب نوبل اهتماما خاصا، سوف نوضحه من خلال الدراسة التي نقدمها في هذا المقال الذي يتناول توظيف الكاتب للحارة في روايته الشهيرة زقاق المدق.

**الكلمات المفتاحية**

نجيب محفوظ – رواية زقاق المدق – المكان الروائي - الحارة القديمة.

**تمهيد**

أولى معظم كتاب الرواية أهمية كبيرة للمكان حتى يتمكنوا من إخراج القارئ من عالمه الحقيقي الذي ألفه إلى عالم خيالي مختلف عن الواقع الذي كثيرا ما أحس فيه بالملل، فأراد أن ينفس عن نفسه.

إضافة إلى اهتمام الروائيين بالمكان كمكون أساسي للبناء الروائي، اعتنوا أيضا بالشخوص المكونة للنسيج الروائي، والتي لا يمكن لها أن تتحرك إلا بالاعتماد على عنصر المكان والزمان. بمعنى أن الأديب الحق في مجال الرواية الواقعية ينطلق من عالم الواقع، لكن نقطة الوصول لن تكون بالتأكيد العودة إليه، وإلا كان الحدث تسجيليا محضا، الأديب الواقعي يعمل على خلق عالم مستقل، له خصائصه الفنية التي تميزه عن غيره ولهذا السبب كان المكان في العمل الروائي -وبخاصة الرواية الواقعية - حاملا لمعنى ولحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة التي ألفناها في الواقع وفي هذا المعني يرى نجيب محفوظ، "أن عملية نقل عالم الواقع إلى عالم الرواية عملية مكر وحيل." (قاسم، س. 1985: 10 )

من أجل معرفة مدى ارتباط الأدباء العرب بالمكان وتجسيده من خلال أعمالهم الأدبية، نقترح هذه الدراسة حول رواية "زقاق المدق لنجيب محفوظ" والتي سوف نبين من خلالها كيف تعلق الأديب بالقاهرة القديمة كحارة منذ صغره، وكيف بقي مرتبطا بها ويخلدها في رواياته إلى وفاته.

ولتحقيق هذا الهدف اقتضت الخطة الإجرائية للبحث الاعتماد على المنهج التاريخي والاجتماعي حسب ما تقتضيه مجريات البحث عبر الفترات التاريخية من حياة الأديب الذي ارتبط بأزقة القاهرة الفاطمية لعبا ودراسة ثم نتوقف عند روايته زقاق المدق التي تعد نموذجا صوَر فيه الحارة بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية وارتباط الشخصيات الروائية بهذا المكان، وهي الإشكالية التي نحاول الإجابة عنها.

## 1. استطيقا المكان في العمل الروائي

يتخذ المؤلف من المكان وسيلة لإبراز حياة طبقة اجتماعية فهو الخلفية التي يصل من خلالها الكاتب إلى تجسيد قضيته المهمة. وينم المكان سواء كان بيتا أم مقهى، أم مسجدا، أم حانة، أم وكالة عن طبيعة الشخصية داخل العالم الروائي حيث إنّه في الرواية القناة التي تمكِن الكاتب من الإفصاح عن الحدث وأجوائه وعليه فإنّه "قادر على أن يظهر الكثير من الدلالات المرتبطة بالشخصية". (عبد مسلم، ط.2002 : 113)

ولبلوغ العمل الروائي غايته تنوعت أمكنته حيث نجد المكان المفتوح والذي تكون شخصيته متفتحة، لغتها راقية، لها مشاريع وطموحات مستقبلية، على خلاف الشخصية المنتمية إلى الأمكنة الضيقة، نجد نظرتها محدودة، تعملها بدائي، ليس لها طموحات بل تتسم بالخمول والروتين ، مما يؤكد أنَ اللغة تتبع من طبيعة المكان فإن كان هذا الأخير متفتحا كانت لغته راقية ومتطورة وإن كان الوسط متخلفا منغلقا، كانت لغة شخصياته بسيطة ومحدودة.

وللمكان وظيفة دلالية ، فهو يضفي على صاحبه الإحساس بالكرامة والسعادة والطمأنينة، يقوى ارتباطه به. فالأماكن لها "جاذبة تساعد على الاستقرار وهناك أماكن طاردة تلفظنا".(ناصف، م. 1983: 178)

إن الروائي الحقيقي هو الذي يستطيع أن ينقل لنا عالما من المحسوسات لا هــو بالواقعي الصرف ولا بالخيالي المحض إذ يعبر عن أحداث يسلم أنها وقعت بالفعل وقد لا تكون كذلك، يجعل لها خلفية يؤمن بمصداقيتها

وفاعليتها في عملية سير الأحداث. وانطلاقا من رؤية غاستون باشلار فالمكان الروائي لم يعد ذلك العالم الـذي ألفنا وجوده في واقعنا انطلاقا من الطفولة، ولا ذلك الذي يعبر عن أحاسيس تنشأ انطلاقا من ألفة ربطتنا به: "المكان هو المكان الأليف...إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكَل في خيالنا. فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة." (باشلار، غ. 1984: 6)

ومن هذه الرؤية أدرك نجيب محفوظ أهمية المكان ورمزيته في العمل الروائي ،إذ جعله الوعاء الذي يحتضن أعماله السردية فكان عنوانا لجل إبداعاته الروائية .

**2.نجيب محفوظ وعلاقته بالحارة القاهرية**

ارتبط نجيب محفوظ بالحارة والأماكن الشعبية والعريقة في القاهرة " حتى أن عناوين كثير من أعمال الرجل حملت مباشرة أسماء أماكن أثرية... من "كفاح طيبة"، إلى "الكرنك" ومن "خان الخليلي" و"زقاق المدق" إلى "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكرية" و"قشتمر"." (فاروق، ع. 1994 :48)

إن هذا الارتباط الذي جعله يصبح أحد المختصين العارفين بتاريخ مصر القديم والحديث، يظهر جليا عندما يتحدث في إحدى فصول رواية زقاق المدق عن تاريخ الزقاق بطريقة المؤرخ العارف بأسرار القاهرة القديمة، لا يفوت جزئية إلا وذكرها حتى يبين عراقة المكان الذي يتحدث عنه وعلاقته بالزمن الواقعي ثم الزمن المحكي. يقول عن زقاق المدق "تنطق شواهد

كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما ما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الذري." (محفوظ، ن. 1989 :1)

على هذا النحو يظهر فهم محفوظ لتواصل الزقاق بأصل الحياة. وهكذا تتعدى الأماكن التاريخية في أعماله من كونها مجرد شواهد لعصور انقضت إلى اعتبارها وعاءا حضاريا يخلد واقعا محددا، عاشه شعب بعينه "الأمر الذي جعله لا يقف أمام الزقاق أوالحارة فقط في أعماله التصويرية المباشرة، بل ويستخدمها كرمز في تصوير القضايا الإنسانية والكونية الشاملة." (فاروق، ع. 1994 :63)

عن سؤال حول علاقة نجيب محفوظ بالحارة التي ولد بها يجيب هذا الأخير أن "الحارات الشعبية هي مواطن إلهامي وقد نشأت فيها.. نشأت في حي قرمز بالقاهرة ثم انتقلت إلى رياض العباسية وظل قلبي معلقا بأحياء الحسين والأزهر، السيدة زينب وخان الخليلي "إن هذه الأحياء هي مواطن إلهامي. وقد جسدتها في أعمالي الروائية." (الذوادي، ر. 1986 :33)

إن هذه العلاقة بين الأديب والمكان تكاد تكون من ضروريات نجاح العمل الروائي فارتباط الروائي بمكان وزمان ما يجعله يبدع في هذا الإطار وتكون جل أعماله مخلدة لهذا الزمكان الواقعي الذي يصبح زمكانا محكيا ويمكن ملاحظة ذلك في أعمال أدباء جزائريين مثل محمد ديب مع تلمسان ومولود فرعون مع منطقة القبائل.

لقد اعتمد نجيب محفوظ على الحارة في جل أعماله الإبداعية لما تجسده من معنى واقعي مرتبط بمعيشة مجموعات إنسانية تعارفت فيما بينها لكونها تسكن معا في نفس الحيز الجغرافي وتتقاسم نفس المشاغل "الحارة، وقريب منها الزقاق، تمثل مفردة زمكانية أثيرت في عدد كبير من روايات نجيب محفوظ. تتجسد الحارة روائيا بتمظهرات متعددة، تقارب حدود التعين المرجعي أحيانا، وتنأى عنه إذ تبدو تمثيلا لمكان الوطن أو لمواجهة الجماعة الإنسانية كلها، أحيانا أخرى." (حمودة، ح. 2007 :166)

بدأت علاقة نجيب محفوظ بالحارات والأماكن التاريخية منذ أن كان صغيرا، فقد اصطحبته أمه مرات عديدة في زياراتها إلى سيدنا الحسين والجمالية وغيرها من الشواهد التاريخية التي تأثر بها الطفل نجيب، وأرخ لها بعد أن صار أديبا عالميا "من حي الجمالية أخذ نجيب محفوظ فكرة الحارة التي أصبحت عنده رمزا للمجتمع والعالم، أي رمزا للحياة والبشر." (النقاش، ر. 2006 :18)

ولم تكن أمه تعي أنها باصطحابها له فهي تعد إنسانا سوف تكون له منزلة كبيرة بين الأدباء العرب والعالميين؛ فهي لم تكن تفعل ذلك إلا للتبرك، غير أن الأقدار كانت تعد هرما جديدا في مجال الأدب "لم تكن أم نجيب متعلمة أو مثقفة، لكن الحكاية بدأت حين أخذها مرة زوجها إلى زيارة بعض الأماكن الأثرية... كان أبوه متحررا بعض الشيء فسمح لها أن تكرر مثل هذه الزيارات... وكانت الأم منطلقة على خلاف جيلها، لذا كثيرا ما اصطحبت نجيب في يدها، وخرجت حتى من منطقة الجمالية

والحسين لتزور الأهرام والمتحف المصري، ناهيك عن الأماكن الأثرية الإسلامية والقبطية." (فاروق، ع. 1994 :63)

أما الكاتب نفسه لم يكن يستوعب ذلك؛ فبسذاجة الطفل كان يستمتع برؤية المواقع الأثرية المصرية دون أن يسأل عن معناها وتاريخها، فأمه ما كانت لتجيبه وهو ما كان ليتجرأ على ذلك ربما خوفا من منعه الزيارة مرة أخرى. في هذا الصدد يقول نجيب محفوظ "حتى الآن لا أعرف كيف كان يحدث ذلك. إذ لم أكن في سن تسمح لي بتوجيه الأسئلة والاستفسار.. كنت أمشي في يدها وخلاص." (فاروق، ع. 1994 :63)

كانت الأم وابنها نجيب يتردّدان مرات عديدة على المكان الواحد، مما جعل الطفل يبقى في اتصال دائم مع الأماكن القاهرية العتيقة عامة، ومع الأماكن المقدسة على الخصوص، وبالتالي أصبح لديه شبه قناعة بأن مصر(القاهرة) هي مركز العالم قديما وحديثا، فلا يتحدث في أدبه إلا عنها، وحتى لو أراد أن يتناول موضوعا اجتماعيا، سياسيا أو دينيا عالميا، تكون القاهرة القديمة هي المكان الذي يبني عليه خياله الأدبي ويستلهم منه شخصياته.

لقد كان لزيارات نساء الحارات والأزقة المجاورة للمنطقة التي كان يسكنها الطفل نجيب سببا في رؤيته للعديد منهن وكيف كن يتصرفن لما يتشاجرن فيما بينهن، و كانت بعضهن تأتي لتبيع الحلي وأشياء أخرى، مما جعله يقتبس في العديد من أعماله شخصيات لها ارتباط بنساء الحارة. يقول نجيب محفوظ " عشت حياة ممتعة ... كانت النساء يجئن ليرهن الحلي

والمصاغ، وطول النهار أتحدث مع الحواري والأحياء الشعبية. وككاتب استفدت كثيرا من هذه الشخصيات." (فاروق، ع. 1994 :67)

ابتداء بخان الخليلي التي كتبها سنة 1945 التي تشير إلى الواقع المصري المواكب للحرب العالمية الثانية. بدأت كتابات محفوظ تعتمد على توظيف المشاهد الواقعية للحارات القاهرية؛ في رواية زقاق المدق يظهر المشهد أكثر واقعية، وتختلط الشخصيات والأماكن الحقيقية بالأماكن والشخصيات الخيالية الروائية. استطاعت الحارة بفضل أعمال محفوظ تجاوز طابعها المحلي لتصبح ذات مدلول عالمي. فقد تمكن من أن يجعل من هذا المكان الصغير بالمقياس العمراني، مكانا كبيرا أشمل من المجتمع بأكمله بل وأشمل من العالم في العمل الروائي. لأنه وظّف الحارة لإظهار نماذج مصغرة لشخصيات وأحداث وطنية ودولية. "وفي مرحلة أدبية أخرى تصبح الحارة أكبر من المجتمع نفسه، وتتحول إلى صورة للعالم كله وما فيه من أفكار ومصائر وأقدار وصراعات هائلة." (النقاش، ر. 2006: 19)

إن الحارة التي وظفها نجيب محفوظ في أعماله الأدبية استلهمها من واقعه القاهري الذي ظل لصيقا به طوال سنوات عمره، سواء عندما كان يسكن منطقة الجمالية في مرحلة الطفولة، أو لما أضحى يتردد عليها عندما انتقل إلى العباسية، وحتى لما سكن منطقة العجوزة، لم يفارقها بزياراته والجلوس في مقاهيها يوميا رفقة زملائه. لقد ظل متعلقا بالجمالية طوال فترات عمره لأنها كما يقول تحيا معه" أماكن الطفولة تحيا معي وتوحي لي وأنا متعلق بها وجدانيا بشكل كبير." (النصير، ي.2010: 67)

استطاعت الحارة في روايات نجيب محفوظ أن تنتقل من الواقع إلى الخيال الأمر الذي أعطاها القدرة على الخلود. فنحن عندما نقرأ أو نشاهد أفلاما مقتبسة من أعماله كالحرافيش أو التوت والنبوت أو زقاق المدق فإنها تترسخ في ذاكرتنا دون أن ننساها. استطاع فالخيال الأدبي أن يعطي للحارة القوة على الصمود والبقاء لأن "انتقال الحارة من الواقع إلى الذاكرة والمخيلة، هو ضمان حياتها واستمرارها." (عبد الرحيم، ع. 2009 :1)

وإذا تمعنا في روايات الأديب يتبن أن جل أعماله تنطلق من الحارة وهذا راجع حسب اعتقادنا إلى تنشئته الاجتماعية فيها . وكل الحكايات التي سردها في أعماله الروائية ما هي إلا مشاهداته أو ما التقطه داخل الدرب (قرمز) أو الزقاق (زقاق المدق) أو الخان (خان الخليلي). ومن هنا التصقت رواياته بالحارة بشخصيته بوصفه إنسانا "إنها حكايات الحارة التي حجَ منها نجيب محفوظ، وهو محور هذه الحكايات، وكل شخصياتها تدور حول شخصيته." (فرج، س. 1990: 216 )

استطاع نجيب محفوظ، من خلال توظيف الحارة في أعماله، أن يؤرخ لتاريخ القاهرة على الخصوص ومصر على العموم؛ فتحدَث عن بدايات الحركة الوطنية متمثلة في حزب الوفد، عن الصراع بين الطبقة الكادحة والأرستقراطية، عن العلاقة بين القصر والشعب، عن ثورة 1919. تناول بالدراسة والنقد فترات الحكم في مصر من شخصيات وطنية وملوك ورؤساء؛ من سعد زغلول إلى الملك فاروق، مرورا بعبد الناصر والضباط الأحرار إلى السادات وأخيرا نظام مبارك. وهذا كله في قالب روائي واقعي، تكون الحارة المكان المفضل لالتقاء الشخصيات المختارة من طرف الأديب،

من أجل التعبير عن آرائه في السياسة والاقتصاد والتعليم والدين، وغيرها من المواضيع الهامة التي تشغل بال المواطن المصري والعربي معا.

عندما يعود الروائي نجيب محفوظ إلى مرحلة الطفولة ويتذَكر الحارة، فكأنما يتحدث عن الحارة التي تجسدت في رواياته فلا نستطيع أن نفرق بين الحارة الحقيقية والحارة في مخيال الروائي. وهذا يجعلنا الروائي نعترف له بمقدرته العجيبة على نقل الواقع إلى الخيال بصورة أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال، فهو يعطي لكل جزئية قيمتها حتى لا يظهر نقص من شأنه أن يبعد الصورة الفنية عن الصورة الواقعية."كانت الحارة في ذلك الوقت عالما غريبا، حيث تتمثل فيها جميع طبقات الشعب المصري، تجد مثلا ربعا، يسكنه ناس بسطاء، أذكر منهم عسكري بوليس، موظف صغير في "كبانية" المياه، امرأة فقيرة تسح بفجل أو لب، و زوجها ضرير، لهم حجرة في الربع، وأمام الربع مباشرة تجد بيتا صغيرا تسكنه امرأة. من أوائل اللواتي تلقين التعليم وتوظَفن، ثم تجد بيوت أعيان كبار." (الغيطاني، ج. 1980: 10)

إن الحارة التي خلَدها نجيب محفوظ في الكثير من أعماله لم تكن إلاَ الحارة الواقعية التي عرفها وهو صغير وبقي مرتبطا بها في كبره حتى أنه بقي مواظبا على زيارتها رغم بعد المسافة التي كانت تربطه بها بعد أن سكن في العباسية وهو مراهق، ثم العجوزة بعد زواجه وشرائه بيتا هناك" إنها في بعض الأحيان الحارة الواقعية التي عرفتها في طفولتي مثلما في زقاق المدق." (سلماوي، م. 1998: 14 )

لقد تغيَر وجه الحارة التي تحدث عنها نجيب محفوظ فلم تعد تلك الوحدة التي كانت مرادفة للمدينة، فلقد عوَضت الشوارع الكبيرة الدروب

الصغيرة، وبالتالي هجرها الناس وراحوا يسكنون الميادين الجديدة والعمارات الشامخة والمساكن الكبيرة، واختفت جل المظاهر الاجتماعية المرتبطة بالحارة القديمة في المجتمع المصري فلقد" أصبح للحارة الآن تخصص فئوي، فليس الجميع الذين يسكنونها والأمر لم يكن كذلك في الماضي حين كان المجتمع المصري كلَه ممثلا فيها بكل فئاته بل حتى بجنسياته فقد كان هناك المصري والتركي والخواجة." (موسى، م. 2005: 235)

لقد اختفت كل مظاهر التلاحم والترابط بين سكان الحارة، ولم تعد تُدار شؤونها بنفس النظام الذي كان معتمدا في الماضي، وبالتالي لم يعد مجال للحديث عن الفتوة والحرافيش، والمشربية التي تطل منها النساء، والمقهى الشعبي الذي يجلس فيه جميع أبناء الحارة لتناول الشاي ومناقشة المواضيع التي تهم السكان، قديما كانت "مبلَطة وتكنس وتُغسل مرتين في اليوم الواحد، على أن أجمل ما كان في الحارة هو تلك الرابطة التي كانت تربط بين جميع أهل الحارة... فهل يعرف الآن أي ساكن في شوارع المدينة من الذي يسكن إلى جانبه." (موسى، م. 2005: 236)

ولعلَ هذا الحنين إلى الماضي البعيد زمنيا القريب من ذاكرة وروح نجيب محفوظ هو الذي جعله يبدع العديد من الروايات ليبث فيها من روح الحارة ما اندثر، وزقاق المدق واحدة من تلك الروايات التي صوَرت بصدق الحارة.

### 3.الحارة في رواية زقاق المدق

زقاق المدق حي من الأحياء الشعبية القديمة يسكنه أناس تتباين آراؤهم حول الزقاق؛ فمنهم من يحبه مثل عباس الحلو صاحب صالون

الحلاقة، والعم كامل صاحب دكان بسيط يبيع البسبوسة، والمعلم كرشة صاحب المقهى الوحيد بالمدق، يأتيه السمّار كل ليلة، كما يحب الزقاق أيضا السيد رضوان الحسيني وهو بمثابة شيخ الزقاق، يأتيه السُكان ليستفسروا عن قضايا دينهم. وهذا الدكتور بوشي يلجأ إليه سكان المدق عند الحاجة لنزع أسنان أو تركيب طقم جديد؛ فهو بمثابة جراح أسنان في الحارة، مع أنه لم يدرس الطب وإنما اكتسب خبرته من المعالجة الميدانية، على الرغم من أنه ارتكب رفقة زيطة - شاب أسود يقوم بإحداث العاهات لمن يروم دخول عالم الشحاذة - من جريمة نبش قبر أحد الأموات لخلع طقم أسنانه، إلا أنهم فوجئوا برجال الأمن، وكان مآلهما السجن فحزن كثيرا سكان الحي لهذه الجريمة النكراء. وهذه حميدة، فتاة لا تعرف لها أما ولا أبا، تبنتها سيدة تعرف بأم حميدة تستأجران شقة عند السيدة سنية عفيفي التي طلبت من أم حميدة أن تبحث لها عن عريس؛ بوصفها خاطبة الحي وناقلة لأخبار السوء. كانت حميدة تمقت زقاق المدق وساكنيه، وترى أنهم أناس أغبياء لا يعرفون عن حياة التحضُر والبذخ شيئا. تمقت الزقاق بالقدر الذي كان يكرهه حسن كرشة ابن صاحب المقهى وأخو حميدة بالرضاعة، كان يعمل بالجيش الإنجليزي المتواجد بمصر آنذاك هروبا من حياة الزقاق البائسة، لكنه سرعان ما استغنوا عن خدماته وعاد رفقة زوجته ليسكنوا الزقاق فغضب منه أبوه المعلم كرشة غضبا لا يوصف، وأصبح حسين من يومها صاحب كأس لا يفارقها. حميدة، البنت الشقيَة التي كانت تأمل في حياة أفضل غير حياة الزقاق، خطبها عباس الحلو ثمّ سافر للعمل في الجيش الإنجليزي لكي يجمع المال ويعود إليها، لكن آماله خابت حين رجع وجد حميدة قد شقت طريقا آخر محفوفا بالمخاطر، فقد هربت من الزقاق رفقة شاب يسكن الأحياء الراقية خدعها بالمال، ورمى بها

فريسة بين أيدي جنود الإنجليز فغدت عاهرة وعربيدة غير عابئة بما يجري حولها، وهي التي تمنى السيد سليم – صاحب وكالة بالمدق – أن تكون زوجته رغم أنه متزوج، وأب لثلاثة أولاد كلهم يحتلون مراكز حساسة، لكن المرض نغَص عيشه فغدا لا يفكر إلاَ في الموت. وهذا الشيخ درويش لا ينطق إلا بالحكمة. كان في سالف عهده أستاذاً للغة الإنجليزية لكنه ترك عمله، وهجر أهله، وزهد في الدنيا، وأصبح شاردا تائها، حتى لقبه سكان الزقاق بولي من أولياء الله الصالحين، يتحاشون غضبه ويُكنون له كل المودة والمحبة والاحترام. في الجانب الآخر تطالعنا شخصية المعلمة حسنيه الفرَانة زوجة جعده الفران، وصاحبة الأمر والنهي في بيتها. عباس الحلو الذي لم يستطع أن ينسى حميدة والحالة التي آلت إليها، أصبح لا يفكر إلاَ في الانتقام. لم يكن من السهل عليه أن ينسى ويسلَم بالواقع، وبينما كانت حميدة في حانة مع الجنود، رماها الحلو بزجاجة خمر فأصابها، حين ذاك انهال عليه الجنود بالضرب المبرح حتى أردوه قتيلا... هذا ملخص ما تضمّنته رواية زقاق المدق التي أراد من خلالها نجيب محفوظ أن يُعرفنا على جوانب عديدة عن حياة أناس بسطاء يسكنون أزقة المدق.

الرواية في مجملها مجموعة من الأحداث يسردها صاحبها بأسلوبه الخاص، وما المدق إلا ذلك العالم المصغر الذي عبَر من خلاله نجيب محفوظ عن فئة تمثل أكبر شرائح مصر والعالم، فئة البسطاء. فهي تصور بدقة وتميز واقع المجتمع المصري أثناء الاستعمار البريطاني في أحد الأحياء الشعبية العتيقة، في حين أن أبطالها هم أشخاص متذبذبون في الصميم. أما نهاية الرواية فهي نهاية شيقة ومفاجئة، ذلك أن كل من يقرأ الرواية يعتقد أن النهاية ستكون لصالح عباس الحلو؛ لأنه رجل طيب دمث الأخلاق

لكن ما حدث كان عكس كل التوقعات، حيث مات الحلو تحت أقدام الجنود الإنجليز بينما نجت حميدة من كل ذلك بأعجوبة. ربما أراد نجيب محفوظ أن يقول من خلال هذه النهاية أن الناس الطيبين يسترهم التراب، في حين أن المجرمين يستمرون في العيش تحت وطأة الخزي والعار. وختم روايته بالحديث عن عودة رضوان الحسيني من البقاع المقدسة، واستعداد الزقاق لاستقباله، ولعلَها نهاية رمزية يهدف الكاتب من ورائها إلى بعث الأمل في الزقاق ثانية والتبشير بقرب انفراج مأساة الشعب المصري وجلاء القوى الاستعمارية عن أرضه.

**خاتمة**

استطاع الأديب بفضل براعته وتمكُنه من التصوير والوصف جعل الأمكنة تعبر عن نفسها، فهي ليست مجرد حيز جامد تسكنها، أو تتردد، أو تتحدث عنها شخصيات النص، بل لها دلالات جمالية واجتماعية واقتصادية وسياسية، يخبرك عنها كل مكان وُظِّف في الرواية،

فالمكان "زقاق المدق" يحمل بداخله شفرات دلالية ذات مضامين تنطبق على الواقع العربي. فحميدة التي أرادت الخروج من الزقاق يمكن أن يفهم تصرفها في وقتنا الحالي على أنه دلالة على تحرر المرأة، والبيت الذي كانت تعيش بداخله والذي يسيطر عليه الرجال، على أنه سجن هربت منه، رغم أن نتيجة تحررها جعلها نجيب محفوظ أفظع من السجن نفسه.

إنَ قيمة نجيب محفوظ ليست السَجل الاجتماعي الذي يمثله إنتاجه الأدبي، وإنما هو أيضا فيما صنعه للأدب العربي ذاته، لفن الرواية التي فتح أمامها أبوابا جديدة لم تكن قد طرقتها من قبل.

من خلال هذه الدراسة تبين لنا مدى تعلق نجيب محفوظ بالحارة المصرية التي ولد ولعب ودرس فيها، ثم اعتمد عليها فيما بعد لتكون المادة الأولية لمعظم رواياته. بأحداثها وأسماء أماكنها وشخصياتها.

**قائمة المصادر والمراجع**

1. الذوادي، رشيد (1986)، أحاديث في الأدب، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب
2. الغيطاني، جمال (1980)، نجيب محفوظ يتذكر، بيروت، دار المسيرة.
3. النقاش، رجاء (2006)، في حب نجيب محفوظ، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية.
4. النصير، ياسين (2010)، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
5. حمودة، حسين (2007)، في غياب الحديقة، حول متصل الزمان/ المكان في روايات نجيب محفوظ، القاهرة، مكتبة مدبولي.
6. سلماوي، محمد (1998)، وطني مصر، حوارات مع نجيب محفوظ، القاهرة، دار الشروق
7. سليمان، نبيل (1994)، فتنة السرد والنقد، الطبعة الأولى، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع.
8. عبد الرحيم، عبد الوهاب (2009)، "جماليات الفضاء في السيرة الذاتية"، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة العربية بالمغرب
9. علي محمد الخالدي، وسام (2006)، "دلالة المكان في رواية بين القصرين لنجيب محفوظ"، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد السابع، جامعة الكوفة.
10. فاروق، عبد المعطي (1994)، نجيب محفوظ بين الرواية والأدب الروائي: عالم الحارة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية،

11. فرج، السيد احمد، (1990)، أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب، القاهرة، دارا لوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
12. قاسم، سيزا (1985)، بناء الرواية، الطبعة الاولى، القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر.
13. محفوظ، نجيب (1989)، زقاق المدق، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
14. موسى، مصطفى محمد(2005)، نجيب محفوظ نوبل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
15. باشلار، غاستون (1984) جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
16. طاهر، عبد مسلم (2002) عبقرية الصورة والمكان، التعبير، التأويل، النقد، الطبعة الأولى، عمان، دار الشروق،
17. مصطفى، ناصف (1983) الصورة الأدبية، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأندلس.

## Résumé

## L'appropriation d'El Hara dans l'ouvre romanesque de Naguib Mahfoudh. L'exemple de Zikak El Midak

L'espace est considéré comme l'un des éléments importants dans la composition du roman. Avec le temps et les personnages, il constitue un substrat pour le devenir romanesque. Naguib Mahfoudh a donné une grande importance aux lieux ; puisque il a donné comme titre de ses romans les noms des quartiers où il a vécu ou qu'il a visité, l'exemple de Khan elkhalil, essoukaria, bayn el kasrain, etc. Le romancier, prix nobel de la littérature arabe a accordé à *la hara* une grande importance pour ce qu'elle représente à l'égyptien en particulier et à l'arabe en général, ce que nous allons démontrer à travers notre étude en appliquant sur son célèbre roman Zikak El *Midak*.

**Mots clé**
*Naguib Mahfoudh, le roman Zukak El Midak , l'espace romanesque, l'ancienne hara*